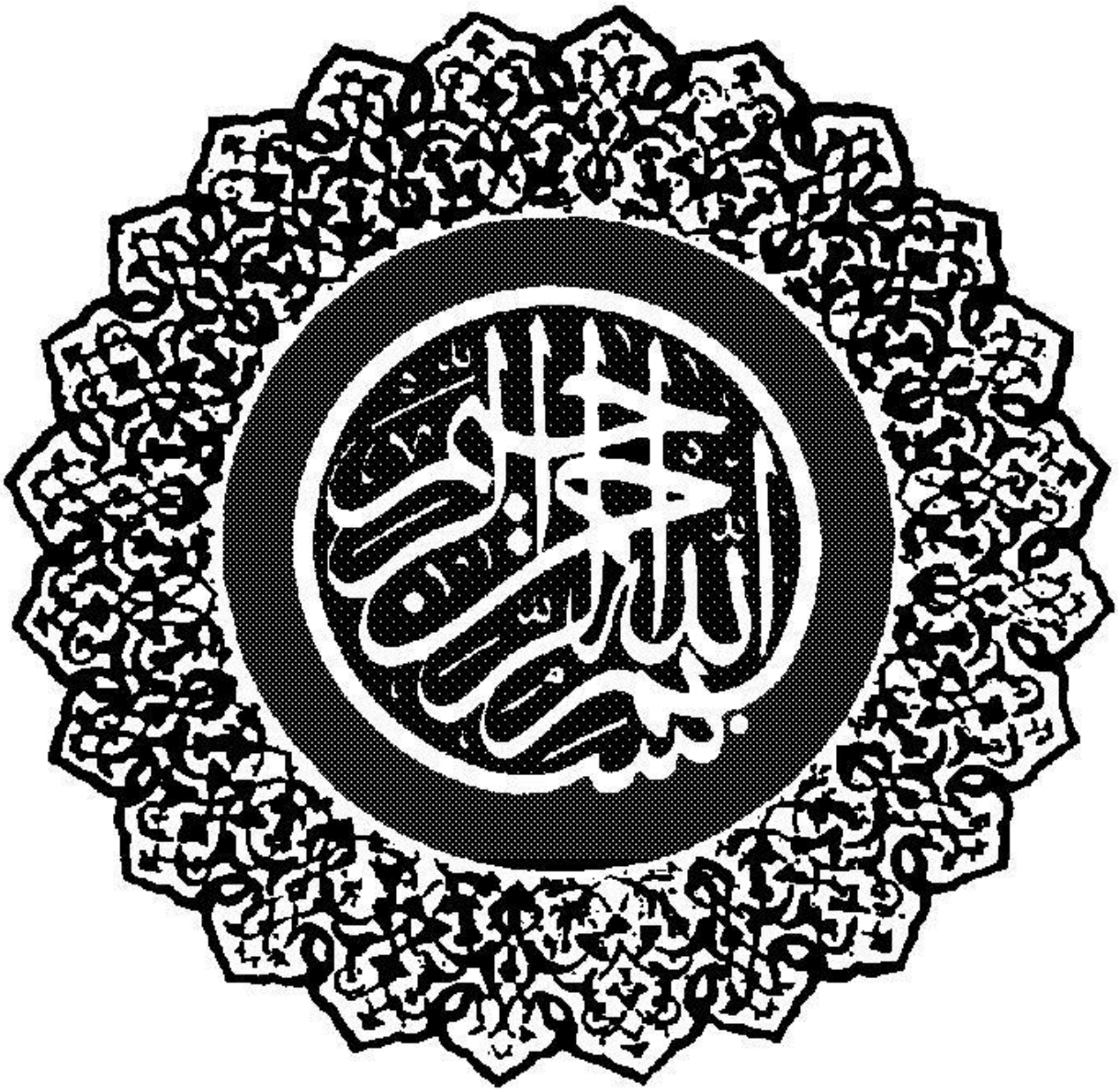

جامعة العلامة الطباطبائي

كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية

مفهوم الحبّ عند ابن حزم الأند لسي من خلال ترجمة الكتاب «طوق الحمامة في الألفة و الألاف»

بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها

الأستاذ المشرف:

الدكتور علي گنجيان خناري

الأستاذ المشرف المساعد:

الدكتور السيّد خليل باستان

الاعداد:

سميه السادات طباطبايى

١٣٨٩هجرية شمسية

١٤٣١هجرية قمرية

فرم گرد آوری اطلاعات پایان نامه ها

کتابخانه مرکزی دانشگاه علامه طباطبائی

عنوان: مفهوم الحبّ عند ابن حزم الأندلسي من خلال ترجمة الكتاب "طوق الحمامة فی الألفة و الألاف"
نویسنده / محقق: سمیه السادات طباطبائی
مترجم:
استاد راهنما: دکتر علی گنجیان خناری **استاد مشاور: دکتر سید خلیل باستان**
نوع پایان نامه: بنیادی ** توسعه ای کاربردی
مقطع تحصیلی: کارشناسی ارشد **سال تحصیلی: ۹۰-۸۹**
محل تحصیل: تهران **نام دانشگاه: علامه طباطبائی**
دانشکده: ادبیات فارسی و زبان های خارجی **گروه آموزشی: زبان و ادبیات عرب**
تعداد صفحات: ۳۷۵
کلید واژه به زبان فارسی: ابن حزم اندلسی ، طوق الحمامه فی الألفه و الألاف ، عشق.
کلید واژه به زبان انگلیسی:IBN HAZM , Tawq al- hamama fi al-ulfah wa al-ullaf , Love.

چکیده

الف - موضوع و طرح مسئله (اهمیت موضوع و هدف): ترجمه اثری مکتوب از فرهنگ اسلامی هدف از اختیار موضوع پایان نامه است. افزون بر این ترجمه کتاب به چندین زبان و ایرانی الاصل بودن ابن حزم نیز بر اهمیت موضوع می افزاید.

ب – مبانی نظری شامل مرور مختصری بر منابع ، چاچوب نظری و پرسش ها و فرضیه ها: منبع فصل نخست پایان نامه به دو دسته تقسیم می شود. نخست منابع کهن مرتبط با اندلس و زندگی نامه اعلام آن و دیگر منابع معاصر که به ابن حزم پرداخته اند. در فصل دوم نیز کتاب "طوق الحمامه" مهمترین منبعی است که از آن استفاده کرده ام. پرسش هایی درارتباط با زمینی بودن عشق در کتاب "طوق الحمامه" ، سبب گرایش ابن حزم به موضوع حبّ و میزان تاثیر پذیری او از فقه مطرح شده است. در پاسخ می توان عشق مد نظر ابن حزم را از جنس عشق زمینی به شمار آورد و محیط اندلس را در کنار ویژگی های شخصیتی ابن حزم سبب ساز تمایل ابن حزم به موضوع یاد شده دانست. همچنین ابن حزم عشق را در دین جایز می شمرد لکن نمی پسندد عاشق و معشوق در مسیر دلدادگی پا را از دایره تعیین شده توسط دین فراتر بگذارند.

پ – روش تحقیق شامل تعریف مفاهیم ، روش تحقیق ، جامعه مورد تحقیق ، نمونه گیری ، ابزرار اندازه گیری، نحوه اجرای آن، شیوه گرد آوری و تجزیه و تحلیل داده ها: در این پایان نامه اطلاعات فصل نخست به شیوه کتابخانه ای گرد آوری شده است و در فصل دوم تلاش شده بدون استفاده از شرح و تحلیل دیگر منابع نظریات ابن حزم استخراج و تفسیر شود. در فصل آخر نیز کوشش شده است که زبان ترجمه چندان از زبان متن فاصله نگیرد.

ت – یافته های تحقیق: نظریات ابن حزم درباره عشق را می توان به پنج زیر شاخه تقسیم کرد: آراء وی در ارتباط با حب ، محب، محبوب ، رابطه عاشقانه و حب و واقعیت و هر کدام پاره ای از مسائل را در بر می گیرد.

ث – نتیجه گیری و پیشنهادات: در پایان شش نکته را به عنوان علل شهرت کتاب "طوق الحمامه" و موفقیت ابن حزم بیان کرده ام که عبارتند از : شجاعت ابن حزم ، عواطف جوشان او ، دقت نظر و داشتن نگاه منطقی ، مطابقت آراء وی با اندیشه های معاصر ، پایبندی او به ارزش های اخلاقی و ارزش تاریخی کتاب.

صحت اطلاعات مندرج در این فرم بر اساس محتوای پایان نامه و ضوابط مندرج در فرم را گواهی می نماییم.

نام استاد راهنما: سمت علمی:

نام دانشکده: رئیس کتابخانه:

چکیده:

عنوان «مفهوم الحبّ عند ابن حزم الأندلسي من خلال ترجمة الكتاب "طوق الحمامة فی الألفة و الألاف"» (مفهوم عشق در نزد ابن حزم اندلسی در خلال ترجمه کتاب "طوق الحمامه فی الألفة و الألاف") برای این پایان نامه انتخاب شده است. همان گونه که از عنوان برمی آید پایان نامه متشکل از سه فصل می باشد: فصل اول زندگی نامه ابن حزم ، فصل دوم نظریات ابن حزم درباره عشق که در کتاب "طوق الحمامه" آمده است و فصل سوم ترجمه کتاب. در فصل نخست زندگی نامه ابن حزم از ابعاد گوناگون همچون نام ، زادگاه ، نسب او و . . . بررسی شده است. فصل دوم در دو بخش گرد آمده است: پیشگفتار و بررسی نظرات ابن حزم. در آغاز پیش گفتارارتباط میان ابن حزم به عنوان فقیه ظاهری از یک سو و نویسنده ای که در باب عشق قلم می زند از سوی دیگر بررسی شده و سپس به باب بندی کتاب "طوق الحمامه" و عناوین موجود در بخش دیگر اشاره شده است. فصل پایانی نیز به ترجمه کتاب اختصاص دارد.

واژگان کلیدی: ابن حزم اندلسی ، طوق الحمامه فی الألفه و الألاف ، عشق .

الملخّص:

هذه الرسالة التى بين أيديكم تحمل عنوان «مفهوم الحبّ عند ابن حزم الأندلسي من خلال ترجمة الكتاب "طوق الحمامة فى الألفة و الألاف" ». كما يبدو من العنوان أنّ الرسالة تتألف من ثلاثة فصول: الفصل الاول حياة ابن حزم و الفصل الثاني آراؤه الواردة عن الحبّ فى كتابه "طوق الحمامة" و الفصل الثالث ترجمة الكتاب. أمّا فى الفصل الاوّل فأنا تناولت حياته من جوانب شتّى كاسمه و مولده و نسبه إلى ما ذلک هو مألوف ومعروف فى معالجة حياة الأعلام. و الفصل الثانى قسّمته إلى قسمين و هما المدخل و دراسة الآراء. فى المدخل حاولت أن أجيب على سؤال يبحث عن العلاقة بين فقيه ظاهرى ثائر و كاتب يكتب عن الحبّ كتابة رقيقة؟ و أيضا أشرت إلى تبويب الكتاب معتمدة على ما جاء فى الكتاب نفسه و رئوس العناوين فى القسم التالي. و فى قسم دراسة الآراء درست آراؤه ذات الصلة بالحبّ فى كتابه "طوق الحمامة". الفصل الثالث يختصّ بترجمة الكتاب.

المفردات المفتاحية : ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة ، الحبّ .

الاهداء :

إلى والدي و والدتي

و إلى زوجي

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ١-٤

الفصل الأوّل: حياة ابن حزم ٥-٢٧

الفصل الثاني: آراؤه الواردة عن الحبّ في كتابه «طوق الحمامة» .. ٢٨-٥٣

أ- المدخل ٢٩-٣٤

ب- دراسة الآراء ٣٥-٥٣

الفصل الثالث: ترجمة الكتاب «طوق الحمامة» ٥٤-٣٦٣

الخاتمة ٣٦٣-٣٦٦

الملخص الفارسي ٣٦٧-٣٧٢

المراجع ٣٧٣-٣٧٥

المقدمّة :

يقدّم حنّا الفاخوري في كتابه «الجامع في تاريخ الأدب العربي» (المجلّد الاوّل ، صص٩١٧-٩٢٠) ترجمة موجزة عن حياة ابن حزم الأندلسي و يأتي بفقرة من الكتاب "طوق الحمامة". و فيها يتحدث ابن حزم عن تمكّن الحبّ على المحبّ إلى أن يحوّل طباعه إلى ما كان لا يرتضيه من قبلُ مشيراً إلى حبّه الاوّل في صباه.

و أنا قرأتُ تلك الفقرة بينما كنت أستعدّ للنجاح في امتحان الماجستير. فما كاد أن دوّت رنّة تلك الكلمات الغنّاءة في أذن روحِي حتّى عزمت على أن أجدَ الكتاب و أنهلَ من مورده العذب. لكنّ الحظّ ما كان حليفي إلى أن أقبل إليّ و وجدت الكتاب في مكتبة الكلية هذه. بعد أن طالعتُ مقدّمة المصحح ،الدكتور الطاهر أحمد مكي، أدركت أنّه فقيه ظاهري أحيا مذهب داود الأصفهانى في الأندلس. فأذهلني ذاک لأنّه ما كنت أرى ملاءمة بين ما قرأت من "طوق الحمامة" في "الجامع في تاريخ الادب العربي" و بين ما هو معروف من رجال الدين في مجال الحبّ. فغمرتني رغبة جامحة لمعرفة آرائه الواردة في هذا الكتاب.

بعد أن أنهيتُ مطالعة الكتاب وجدت فيه مادة غنية لكتابة المقالة. من ثمّ كتبت مقالة عنوانها "الحبّ و المحبّ في طوق الحمامة" للمادة الدراسية "كتابة المقالة". عندما كنت أجمع معلومات عن حياة ابن حزم فوجئت بأنّ معظم المؤرخين الذين عاصروه و الذين عاشوا بعده ينسبونه إلى أصول فارسية. و في الكتب المعاصرة تياران أساسيان يختلفان في نسبه؛ تيار،و هو الراجح، يعرّفه منحدراً من أسرة فارسية و تيار آخر يعدّه من مسيحي إسبانيا. إذاً هناک احتمال ،و إن لم نقل حقيقة مثبتة، يذهب إلى أنّه من الإيرانيّين الذين فرّقتهم يد النوى و ذهبت بهم إلى الأندلس. من ذاک الزمن نما فيّ شعور بأنّ أبناء هذا البلد يستحقون أن يعرفوا تراث آبائهم الذين ساهموا في بناء صرح الحضارة و الثقافة الاسلاميتين، دون أن ينسوا الالتزام بحضارتهم الأمّ و ثقافتها. و خاصة قد ترجم الكتاب إلى اللغات الأجنبية الأخرى كالروسية و الفرنسية و الانكليزية و الاسبانية و الايطالية . بناء على ذلک انتهزت كتابة الرسالة فرصة لترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية.

و هكذا ولدت الرسالة التى بين أيديكم و التى تحمل عنوان "الحبّ عند ابن حزم الأندلسى من خلال ترجمة الكتاب «طوق الحمامة في الألفة و الألاف»" . كما يبدو من عنوان الرسالة أنّها تتألف من فصلين أساسين إلى جانب فصل عن حياة ابن حزم. ففي الفصل الاول تناولت حياته من حيث مولده و نسبه، و نشأته و ثقافته، و حياته السياسية و وفاته. و في نهاية هذا الفصل أشرت إشارة موجزة إلى مكانته العلمية و قدّمت فهرسا لأسماء كتبه دون أن أتناول موضوعاتها. إذ لم يكن بوسعي أن أحصل على كتبه كلّها و أن أطالعها.

و في الفصل الثانى عالجت نظرة ابن حزم نحو الحبّ منقّبة عنها في الكتاب "طوق الحمامة". في بداية هذا الفصل أجَبتُ عن سؤال يبحث عن العلاقه بين فقيه ظاهرى يدافع في كتبه عن آرائه بصرامة و بين امرئ عاشق يكتب عن الحبّ في نثر عذب و ناعم كمن ذاقه لا كمن سمع وصفه عن الآخرين فحسب. يرى القارئ في هذا الفصل عناوين ک "الحبّ" و "المحبّ" و "المحبوب" و "العلاقة الودّية" و "الحبّ و الواقع".

يختصّ الفصل الثالث بترجمة الطبعة الخامسة للكتاب "طوق الحمامة" الذى صحّحه الدكتور الطاهر أحمد المكى و الذى قامت بنشره دار المعارف بالقاهرة. تحسن الإشارة هنا إلى أنّني حاولت في ترجمتي ألا أبعدَ عن النصّ، خوفاً منّي أن أحمّله ما كان لم يرتضيه الكاتب و أصدّ النصّ عن غايته. إلى جانب إنّي أعتبر هذا اللون من الترجمة يلائم و الطورَ الاوّل من الترجمة الاولى للكتاب. من ثمّ جاءت ترجمتي هذه مقيَّدة بالنصّ و أرجو أن أخرجها في لغة سلسة يستحسنها القارئ العادى عندما أقدم على نشره لاحقا إن شاء الله.

و فيما يتعلّق بأسئلة البحث فأرى لزاماً علىّ أن أعترف بأنّ سؤالا واحداً منذ التعرّف بالكتاب كان يشغلني و هو: هل يقصد ابن حزم بالحبّ حباً سماوياً أو يهدف حباً أرضياً؟ و في النهاية رجّحت أن أرى نظرة ابن حزم مصوّبة نحو الأرض و من يعيش عليها.

و كان يهمّني أيضا أن أعرف هل أثرّت وجهته الفقهية على اتّجاهه في الحبّ؟ فوجدت مع أنّه لا يرى الحبّ «بمنكر في الديانة و لا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله عزّ و جلّ»[1]يرسم للحبّ إطاراً تعيّن الأحكام الدينية جزءاً من حدوده و يحسب الالتزام به مفروضاً على أطراف الحبّ. و يكشف ابن حزم هذا التأثر في البابين الأخيرين من رسالته؛ أي باب قبح المعصية و باب فضل التعفّف.

و كما أشرت أنني بحثت عن ردّ لسؤال يثير الانتباه إلى التضاد الظاهر بين نزعة ابن حزم الدينية و بين كتابة رسالة في «صفة الحبّ و معانيه و أسبابه و أعراضه». فوجدت الردّ في بيئة الأندلس التى كان يسودها كثير من التناقضات و التى تركت أصداءها في نفسية ابن حزم بالإضافه إلى العوامل الأخرى.

قد اعتمدتُ في الفصل الاوّل من الرسالة على قسمين من المصادر؛ الأول المصادر التاريخية ذات الصلة بالأندلس و أهلها و كتب التراجم ک "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس" للحُميدي، و "كتاب الصلة في تاريخ علماء الاندلس" لابن بشكوال، و "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "معجم الأدباء" لياقوت الحموي و . . . و الثاني الكتب المعاصرة التى تناولت حياة ابن حزم الفردية و جانباً من حياته العلمية. و في الفصل الثاني قد أفدت إفادة كبيرة من الكتاب "طوق الحمامة" الذى جعلته كمصدر رئيسى؛ و لو أنّ ابن حزم قد تناول الحبّ في كتابه الآخر "الاخلاق و السير في مداواة النفوس" تناولا موجزاً و استخدمت هذا الكتاب في بعض أجزاء هذا الفصل.

هنا أودّ أن ألفت النظر إلى أنّ ابن حزم غير معروف لدى طلاب هذا الفرع الذين لم يعطوه التقدير و الانصاف و يثير الأسفَ الفراغ الظاهرُ الذى يشاهد في الرسائل الجامعية. و من هنا أعترف أنّني كنت أرغب في أن أسدّ هذا الفراغ و أرجو أن أكون قد وفّقت إلى ذلک و إذا كان هناک خلل فمردّه إلى عدم تخصصي في الدراسات الأندلسيه إذ تعتبر الأندلسيات ميداناً بكراً لى و التى يحتاج التخصص فيها إلى طول الدراسة و عمق

---

[1]- طوق الحمامة ، ابن حزم ، ص١٩ .

المطالعة و حتى إجادة اللغة الاسبانية و كلّ ذلک كان بعيد المتناول. فزاد الطين بلّة إذ داهمنى الوقت و أرغمت على أن أجمع المواد لكتابة الفصل الاول و أحلل آراء ابن حزم في الفصل الثاني مسرعة دون أن أمعن النظر متأملة. لكننى سعيدة أن أكون أول من قام بترجمة تأليف من تآليف هذا العالم الكبير و أرجو أن نصل يوماً إلى أن يترجم التراث كله إلى لغتنا العذبة ليفيد الباحثين الأخصائيين.

و في الختام لا بدّ من الإشارة إلى بعض نقاط :

الاولى : إنّني لم آتِ بالملحق و الكشاف العام و فهرس القوافي للكتاب.

الثانية : إنّنى إستعرت علامة (ر.ه) في الترجمة للدلالة على «رحمه الله» و (ر.عنه) ل «رضى الله عنه» و في الملحقات تدلّ (م.ن) على «المصدر نفسه» و (م.س) على «المصدر السابق».

و أخيراً أودّ تقديم خالص الشكر و التقدير لكلّ من مدّ إلىّ يد العون في كتابة هذه الرسالة و خاصة أستاذي المشرف ،الدكتور گنجيان، مع اعترافي بالعجز عن تقديم الشكر الذى يكنه ضميري له في عبارات أسطرها إذ لاتوفيه بعض حقّه. و الحمد لله أولا و أخيراً.

الفصل الاوّل : حياة ابن حزم

اسمه و مولده :

جاء في جذوة المقتبس للحميدى في ترجمة ابن حزم :

« هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمّد، أصله من الفرس ، وجدّه الأقصى فى الاسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبى سفيان .»[2] إذاً كنيته أبو محمّد و هي التى كان يعبّر بها في كتبه و شهرته ابن حزم.

لا يكاد الباحث ،عن حياة العلماء، يجد عالماً ذائع الصيت قد عرف ميلاده معرفة دقيقة، و لكن يعرف وقت وفاته بالتعيين ؛ لأنّ أي عالم يولد مغموراً و يموت مشهوراً . لذا زمن الولادة غير معلوم بالضبط و وقت الوفاة معلوم عادة. و إنّ ابن حزم على غير ذلک، لم يعرف وقت ولادته بالسنة فحسب ، بل بالشهر و اليوم و جزء اليوم الذى ولد فيه و ذلک لأنّه كتب تاريخ ميلاده لتلميذه ،القاضي أبي القاسم صاعد، في رسالة أرسلها إليه . فقد كتب إلى القاضي صاعد أنّه ولد فى آخر يوم من أيّام رمضان سنة ٣٨٤ ه ، و كانت ولادته في مدينة قرطبة في الجانب الشرقي [في تلک الليلة بعد الفجر و قبل طلوع الشمس ،[3]] بربض منية المغيرة.

و إنّ ذلک التعيين يدلّ على اهتمام أسرته بتسجيل تاريخ ولادة أعضائها و تحضّرها ، و إلا كيف كان يمكن لابن حزم أن يعرف ميلاده بذلک التعيين الدقيق ؟

نسبه :

من خلال ما ورد في المصادر يبدو واضحاً أنّ ابن حزم لم يكن عربي الأصل و انّ جدّه الأكبر يزيد كان مولى يزيد بن أبى سفيان المعروف ب «يزيد الخير» الذى أسلم عام الفتح و أرسله أبو بكر قائداً لأحد الجيوش الأربعة التى اتجهت لفتح الشام و كانت

---

[٢] - جذوة المقتبس، الحميدى، ص٣٠٨.

[٣] - طبقات الأمم، القاضي صاعد، ص٨٧. انظر كذلک ترجمة حياته في الجذوة، و وفيات الأعيان .

وجهته دمشق.[4] و عليه فإنّ اسلام جدّه يرجع الى عهد عمر بن الخطّاب . بناء على ذلک فانّه قريشي بالولاء ، فارسي بالجنس ، و لعله كان يتعصب لبني أميه لأجل ذلک الولاء، يعادي من عاداهم و يوالي من والاهم.[5]

قد انتقل جدّه الأعلى مع الأمويّين إلى الأندلس ، لمّا رحلوا إليها و غرسوا بذور ملكهم بها و نزلت أسرته في قرية « مَنتَ لِيشَم» من إقليم الزاوية من عمل أونَبَه و هى من كورة لبلّه من غرب الأندلس [6] و أوّل من دخل الأندلس من أسرة ابن حزم جدّه الأعلى خَلَف ، [7] و قد كان لهم شأنٌ من يوم نزولهم و نالوا فيها جاهاً عريضاً ، حتى لقد قال الفتح بن خاقان : « بنوحزم فتية علم و أدب و ثنية مجد و حَسَب ، فلهم رفعة العلم و رفعة الجاه و المجد.»[8]

هذا هو نسب ابن حزم كما رواه الكثير من المؤرخين [9]، ولكن معاصره ابن حيّان قد شكّ في هذا الأصل الفارسي ، كما أنكر صحّة ولائه لبني أمية ، مؤكداً أنّه نشأ خامل الأبوة، موَلّد الأرومة و أنّ جدّه الأدنى كان حديث العهد بالاسلام . يقول ابن حيّان كما روى ياقوت فى معجمه :

«كان مِن غرائبه انتماؤه لفارس و اتّباع اهل بيته له في ذلک بعد حقبة من الدهر تولّى فيها أبوه الوزير المَعقِلُ في زمانه، الراجحُ في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم، لبني أمية اولياء نعمته. لا عن صحّة ولايته لهم عليه. فقد عَهدَه الناسُ خاملَ الأبوّة ، موَّلد الأرومة من عجم لبلّة ، جدّه الأدنى حديث عهدٍ فى الاسلام و لم يتقدم لسَلَفِه نَبَاهَة ، فأبوه أحمد -على الحقيقة- هو الذى بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رابية و عَمَّدَه بالخِلال الفاضلة من الرجاحة و المعرفة و الدهاء و الرجولة و الرأي فاغتدَى جرثومة سَلَف لِمَن نماهم أغنتهم عن الرسوخ في أول السابقة ، فما من شرف إلا مَسُوقٌ عن خارجيّة ، و لم

---

[4] - موسوعة التاريخ الاسلامي، الدكتور أحمد شلبي، ج١ ، ص٥٨١ .
[5] - وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، ص١٥ .
[6] - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج١٢، ص٢٣٧ .
[7] - وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج ٣ ، ص١٣ .
[8] - ابن حزم، حياته و عصره – آراؤه و فقهه ، محمد أبو زهرة، ص٢٣ .
[9] - ترجمة ابن حزم في : وفيات الأعيان، ابن خلكان ، ج ٣ ، ص١٣ – الذخيرة ، ابن بسّام، القسم الاول، المجلد الاول، ص١٤٣- جذوة المقتبس ؛ الحميدي، ص٣٠٨- طبقات الأمم، القاضي صاعد، ص٨٦.

يكن إلا كلا و لا [10]، حتى تخطّى على هذا رابية لبلة ، فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس ، فالله أعلم كيف ترقاها ، اذ لم يكن يؤنَى من خَطَل و لا جهالة ، بل وصله بها واسعُ علمٍ و شجّته رَحِمٌ معقومة ، بلّها بمستأخِر الصلة رحمه الله. فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته. »[11]

تلقّف بعض المؤرخين الإسبان المعاصرين و المستشرقين هذا النصّ و حاولوا تخريجه على نحو يسمح بنسبة ابن حزم إلى الاسبان ، مع أنّ كلّ ما يفيد النصّ هو أنّ ابن حزم ليس فارسي الأصل. من هنا يستغرب المرء محاولة ردّ نسبه إلى أصل إسباني ، علماً بأنّه ليس لدى هذا الفريق من دليل سوى إشارات إلى أخلاقه و مزاجه و كأنّ مزاجاً بعينه وقفٌ على الاسبان دون الشعوب الاخرى. و تزعّم هذا الفريقَ من المعاصرين ، المؤرّخُ الاسباني، "سانتشت البرنس" الذى ترتبط دعوته بالنظرية التى تبناها فيما يتعلّق ببناة الثقافة الاسلامية و خلاصتها : إنّ أبناء الشعوب المفتوحة هم الذين صنعوا تاريخ الاسلام، بينما واصلت غالبية العرب حياتهم فى جزيرتهم شبه الصحراوية ، دون أن يتلقوا الحضارة التى صنعها المنحدرون من أصلاب مَن إنهزموا أمام الاسلام . و من هنا جعل أفكار ابن حزم في النصرة، و الدفاع عن الدين و الحريم و الجار المضطهد و المستجير المظلوم و المال (ممّا ورد في كتابه "مداواة النفوس") براهين قاطعة على أصله الإسباني .و هذا هو موقفه أيضاً من دعوة ابن حزم إلى مجانبة الناس عند الاختلاف مع الالتزام بالجانب الالهي. فمع أنّ المبدأ من أساسيات الاسلام إلا أنّ البرنس يعتبره من الخلق الاسباني كأنّما هو وقفٌ عليهم دون سائر الخلق.[12]

أمّا نحن فنستدلّ برواية ابن حزم عن نسبه و «هى أوثق المصادر في الحديث عن نفسه.» و ابن حزم عالِم في التاريخ و الأنساب و فقيه و مفكر يعرف قيمة القول الحقّ. فهو رجل جدير بأن يصدّق فيما يقول لا سيّما و أنّه قد عُرف بأنّه رجل «منزَّه عن تعمّد

---

[10] - أي إلا قليلا من الأمد.

[11] - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج١٢، صص٢٥٠-٢٥١ و الذخيره، ابن بسام، القسم الاول، المجلد الأول، ص١٤٣ .

[12] - ابن حزم و موقفه من الالهيات،عرض و نقد، أحمد بن ناصر الحمد، صص١٩و٢٠ .

الكذب.»[13]و هو قد ذكر آثار هذه الجريمة فى كتابه «طوق الحمامة» و نفر منها.[14] لقد أورد ابن حزم نسبه الفارسي فى بيتين من الشعر يقول فيهما :

سَما بي ساسانُ و دارا و بَعدَهم قريشُ العُلَى أعيَاصُها و العَنَابِسُ[15]

فَما أخَّرَت حربٌ مراتبَ سُؤدُدِي و لا قَعَدَت بي عَن دُرَى المجدِ فارسُ[16]

و قال المراكشي– بعد أن أورد اسمه كاملاً – نقلاً عن الحميدى :

«قُرِئ عليَّ نسبه هذا بخطه على ظهر كتابٍ مِن تصانيفه.»[17] و نعتقد أنّ في هذا دليلاً كافياً على أصله الفارسي الذى لم يكذبه أحد من معاصريه إلا ابن حيّان الذى يسخر من نسبة ابن حزم الفارسية. و «لعّله من تشنيع الفقهاء الذين ناضلهم ابن حزم و كان عنيفاً في نضاله معهم و مجادلته إيّاهم و لذلك لايمكن أن يكذب دعواه لمجرّد ما يثيره خصومه من قول قد تكون العداوة هي الدافعة إليه.»[18] و ليس هناك ما يدعو ابن حزم للتمسّك بهذا الكذب، فنسبته في فارس لا يزيده شرفاً على نسبته فى الاسبان. و قد كان والد ابن حزم وزيراً للمنصور بن أبى عامر و إبنه المظفر و لم يكن يزيده حظوة لدى العامريين أن يكون من موالي بني أمية بل أنّ العكس قد يكون أقرب إلى التصور.

إلى مثل هذا ذهب الدكتور الطاهر مكّي في دحض ادعاء المستشرقين الإسبان.

فابن حزم -عنده- ينحدر من أصول ليست واضحه تماماً. و أشدّها احتمالا أنّه ينتسب إلى

---

[13] - طبقات الأمم، القاضي صاعد، ص٨٨.

[14] - طوق الحمامه، ابن حزم، صص٨٥-٨٨.

[15] - و فى رواية أخرى ورد هذا البيت «علا بى ساسان . . . ». الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، و هم : العاص، و أبو العاص، و الصيص، و أبو العيص . (و العيص : الأصل) و العنابس من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الستة : حرب، و و أبو حرب، و سفيان، و أبوسفيان، و عمرو، و أبو عمرو. (العنبس : الأسد) .

[16] - ديوان ابن حزم، جمع وتحقيق صبحي رشاد عبد الكريم، ص٦٧ .

[17] - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، نقلا عن ابن حزم و موقفه من الفلسفة و المنطق و الأخلاق، وديع واصف مصطفى، ص٢١ .

[18] - ابن حزم : حياته و عصره – آراؤه و فقهه ، محمد أبو زهره، ص٢٤ .

أسرة من المولّدين. فالقومية الاسبانية لا يمكن أن نذهب بها في أشدّ الاحتمالات إلى أبعد من نهاية القرن الثالث عشر.[19]

مجمع القول أنّ هناک تيارين أساسين :

تيار أرجع ابن حزم إلى أصول فارسية دخلت الاسلامَ مبكّراً و هاجرت إلى الأندلس مع الفتح الاسلامي أو بعده بقليل. و تيار أرجعه إلى أصول اسبانية مسيحية تصدره المؤرّخون الاسبان و اعتمدوا على ابن حيّان و الذين صاحبوه في رأيه.

نشأته و ثقافته:

قد ولد ابن حزم لأبٍ كان صاحب مكانة عالية في دولة بني عامر و هو أوّل مَن ظهر على مسرح التاريخ من هذه الأسرة في الأندلس. فكان يحظى بمعاملة خاصة و تقدير كبير لدى المنصور ابن عامر دون غيره من الوزراء لخبرته في شؤون الحكم و أسلوب تعامله مع مخدوميه و إخلاصه لهم. قال صاعد :«... فكان أبوه (أي والد ابن حزم) أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم أحد العظماء من وزراء المنصور و وزر لابنه المظفر بعده و كانا المدبّرين لدوتهما.»[20]

بالاضافه إلى منصبه الرسمي في الدولة العامرية فقد كان كذلک من أهل العلم و الأدب. روى الحميدى: «سمعت أبا العباس أحمد بن رشيق الكاتب يقول :كان الوزير أبو عمر بن حزم يقول: إنيّ لأعجب ممن يلحن في مخاطبة، أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة لأنّه ينبغي له إذا شکّ في شيء أن يتركه و يطلبه غيره، فالكلام أوسع من هذا.»[21]

فاذا كان هذا حال والد ابن حزم و مكانته في دولة العامريين و الأدب فإنّه قد ترعرع في بيت أدب و حكمة علاوة على الجاه و السلطان و لاشکّ أنّ هذا الجوّ الادبي و البيئة الأرستقراطية لهما أثرٌ كبير في تنشئته و إزدهار مواهبه. فهو كان يفتخر بأهله و

---

[19] - دراسات عن ابن حزم و كتابه «طوق الحمامة»، الطاهر أحمد مكي، ص۶۴ .
[20] - طبقات الأمم، القاضي صاعد، ص۸۷ .
[21] - جذوة المقتبس، الحميدى، ص۱۲۶ .

بماله و جاهه و يعتزّ بأنّه طلب العلم لايبغي منه مالا و لا جاهاً بل يبغي به النور. و يُروَى في هذا أنّه تناظر مع القاضي أبو الوليد الباجي المالكي فقال الباجي:« أنا أعظم منک همة في طلب العلم، لأنّک طلبتَه و أنت معانٍ عليه، فتسهر بمشكاة الذهب، و طلبتُه و أنا أسهر بقنديل بائت السوق. فقال له ابن حزم : هذا الكلام عليک لا لک، لأنّک إنّما طلبتَ العلم و أنت في هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، و أنا طلبتُه في حال ما تعلمه و ما ذكرته، فلم أرجُ به إلا علو القدر العلمي في الدنيا و الآخرة.»[22]

نشأ ابن حزم نشأة مرفهة في كنف «أبيه الوزير» فاستحفظ القرآن و يقول إنّه حفظه في بيته، حفّظه إيّاه النساءُ من الجواري و القريبات. وإنّه ليذكر ذلک في كتابه «طوق الحمامة» فيقول :

«لقد شاهدتُ النساءَ و علمتُ مِن اسرارهن ما لا يكاد يعلم غيري لأنّي ربّيتُ في حجورهن و نشأتُ بين أيدهن و لم أعرف غيرهن و لا جالست الرجال إلا و أنا في حدّ الشباب ... و هنّ علّمنني القرآن و رويننني كثيراً من الاشعار و دربننني الخطّ و لم يكن كدي و اعمال ذهني مذ أول فهمي و أنا في سنّ الطفولة جدّاً إلا تعرّف أسبابهنّ ... و أصل ذلک غيرة شديدة طبعتُ عليها و سوء ظن في جهتهنّ فطرتُ به.»[23]

بيّننا هذا الكلام الذى سجّله ابن حزم في رسالته القيمة لأنه يعبّر لنا أنّ ابن حزم قد أمضى فترة الصبا و هو لا يعرف الحاجة و الحرمان « تحت رعاية الخدم و بين مناغاة النساء من القيان و الجواري و الإماء، على أيديهن نشأ و معهن ترّبَى و لم يعرف غيرهن من الرجال حتى حدّ الشباب .»[24]و أنّه حفظ أشعاراً كثيرة و القرآن و أنّ النساء هنّ اللائي تولين تلقينَه ذلک كله. و لا شکّ لهذه النشأة آثاراً واضحة على الفكر و السلوک، و الشخصية و الاتجاه، و الشعور و اللاالشعور. و سوء الظن الذى هو مفطور عليه من آثارها. لأنّه «تعلّم منهنّ أشياء أخرى ليست أقلّ نفعا و لكنّها مؤذية في سنّ الطفولة. لقد

---

[٢٢] - نفح الطيب، المقري، ج٢،ص٢٣٨ .
[٢٣] - طوق الحمامة، ابن حزم، ص٧٩ .
[٢٤] - دراسات عن ابن حزم و كتابه «طوق الحمامة» ، الطاهر أحمد مكي،ص٦٥ .

أظهرنه في سنّ مبكرة على أسرار الحياة الجنسية و مناورات القصور و حيل النساء...»
25

رغم ما في ذلک الوسط الذى نشأ فيه و تلک البيئة المترفة و التى كان فيها محاط بالحسان من كل جانب فقد كان مثالا للعفة و الطهر بفضل حرص والده في الإشراف على تربيته. فكان لا يغفل عن مراقبته و ملاحظة ميوله و رغباته. يقول ابن حزم محدّثاً عن نفسه في صدق و جرأة :

« و مع هذا يعلم الله –و كفى به عليما- أنّي برئ الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، نقي الحجزة، و إنّي أقسم بالله أجّل الإقسام أنّي ما حللت مئزري على فرج حرام قطّ و لا يحاسبني ربّي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا. و كان السبب فيما ذكرته أنّي كنت وقت تأجّج نار الصبا و شرة الحداثة و تمكّن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً بين رقباء و رقائب، فلّما ملكتُ نفسي و عقلتُ صحبت أبا الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبى القاسم عبد الرحمن بن يزيد الأزدي شيخنا و استاذي، رضي الله عنه، و كان أبوالحسن المذكورعاقلاً، عاملاً، عالماً، ممن تقدم في الصلاح و النسک الصحيح في الزهد في الدنيا ، و الاجتهاد للآخرة ، و أحسبه كان حصوراً لأنه لم تكن له امرأة قطّ ، و ما رأيت مثله جملة ، علماً و عملاً ، و ديناً و ورعاً ، فنفعني الله به كثيراً و علمت موضع الاساءه و قبح المعاصى ، و مات أبو علي ،رحمه الله، في طريق الحج.»[26]

و هكذا تنقّل ابن حزم من تربية النساء إلى تربية الرجال و أرسله أبوه إلى هذه المجالس مذ عقل نفسه و ملكها. جاء في الجذوة عن سماعه و حضوره مجالسَ العلماء : «و سمع سماعاً جمّاً و أوّل سماعه مِن أبى عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربعمائة..»[27]

---

[٢٥] - م.س، ص٦٦ .
[٢٦] - طوق الحمامة، ابن حزم، صص١٦٥ و١٦٦ .
[٢٧] - جذوة المقتبس، الحميدى، ص٣٠٨ . انظر أيضا بغية الملتمس، الضبي، ص٤٠٣ .